تحولات الشعرية العربية من منظور الناقد الجزائري مشري بن خليفة

transformation of arabic poetry from the perspective of the algerian critic mishri bin khalifa

الطالبة : لعرشي سهام. *

د. يوسف يوسفي ♣

تاريخ الإرسال: 2021/01/24	تاريخ القبول: 2021/04/22	تاريخ النشر: 2021/12/20

الملخص:

يكتسي البحث في الثابت فيما يخص سنن الكتابة –شعرا كانت أم نثرا- نوعا من الغموض والهلامية، ذلك أن نشود النموذج (المطلق) الأعلى في الأدب عموما هو الهدف والغاية. فمن سلطة المعيار في كل لغة على حدى وثبوته إلى دينامية الأدب وتجدده، تواجهنا العديد من الممارسات الشعرية خصوصا، الخارجة في كل مرة بالابداع من ضيق النفق إلى رحابة الأفق معلنة بذلك عن التغير والتحول المستمر، بعيدا عن القوالب الجاهزة والنمطية المعهودة في الممارسة والتفسير على حد سواء. ايذانا بلامركزية النموذج، وإن كانت الشعرية (poetique) تسعى لنمذجة الخطابات ورسم الخطوط العريضة والموحدة لها. وذلك باخضاع الأدب للقوانين العلمية الصارمة ذات التوجه اللساني المحايث، فإنها تصطدم بطبيعة الشعر المنحرفة، التي تتملص في كل مرة من هاته القوانين. "فما يجوز للشاعر لا يجوز لغيره" قول تردد كثيرا منذ طفولة النقد الأدبي، مفادها أن له كل الصلاحية في الانحراف (devier) إلى جهة الجميل والرائع في الإبداع.

الكلمات المفتا ية: الشعرية، العربية،، تحولات.

المؤلف المرسل: لعراشي سهام sihamlarachi@yahoo.com

* **جامعة ابن خلدون تيارت** sihamlarachi@yahoo.com

♣ **جامعة ابن خلدون تيارت** yousfi6060@hotmail.fr

Abstract: .

The search in the constant for the wrting years is a slogan or there is a kind of ambiguity and verbal that we should be(absolute ;highest form of literature which is generally the point. So the power of the standard in each language to its individual and its indissudecy to the dynamism and creativity of the literature, we face many poetic practices especially the outflow each time with creativity from the narrow tunnel to the horizon is so spacious as to constantly change and transformation apart from the streotypes that are common in practice and interpretation. Decentralized model if poetic is seeking to model letters and draw lines the petition, which is unifled, is subject to scientific laws of literature strict to subject literature to strict, laconian- oriented scientific laws, it is she hits the skewed nature of poetry that shristles these laws are enforced every time : what allows to poet may not do to others . this is what many times the childhood of literary critique have said, it has all the power to deviate to the beatiful and wonderful destination in innovation.

Key words:poetic, arabic,transformation

*** *** ***

. مقدمة:

يتسع مجال الإشتغال فيما يخص المنجز النقدي الجزائري، ليشمل جميع النظريات والمناهج النقدية العالمية، بما في ذلك الشعرية، هذا التصور القديم الجديد لمحاولة ايجاد قوانين قارة لضبط العملية الابداعية وتكييفها بما يوافق ويواكب المستجدات العصرية عربيا وعالميا.كما أن الملاحظ للمدونة النقدية الجزائرية يلمس ذلك التراكم المعرفي المتعلق بالشكل اللغوي : الشعرية العربية على غرار: نور الدين السد، الطاهر بومزبر، عبد القادر زروقي، والكتاب قيد الدراسة: الشعرية العربية مرجعياتها وابدالاتها النصية لصاحبه : مشري بن خليفة.يقول في تعريفه للشعرية" فالشعرية موضوع كثير التشعب وطيد الصلة بسائر علوم اللغة، لذا فهو يستدعي منا تحديد المصطلح والمفاهيم وهذا المسعى محفوف بالمزالق لأن الشعرية تتضمن معاني متعددة وغير متساوية من حيث الحضور النقدي.

يعد مشري بن خليفة من بين النقاد الجزائريين المعاصرين بكتاباته المتخصصة في الشعر العربي من حيث الجانب التنظيري خصوصا، كما يعتبر كتابه الرائد"الشعرية العربية" من بين أهم الدراسات الأدبية والنقدية في هذا المجال.

فما هي أهم تجليات الشعرية من خلال الكتاب؟ وأين تكمن أهم القضايا الرائدة في هذا المجال؟ وما موضع هذا الكتاب في الوسط النقدي العربي المعاصر، الجزائري بشكل خاص؟ هذه الاشكاليات وغيرها سنحاول الاجابة عنها في هذا البحث.

2. وصف الكتاب:

1.2 الكتاب شكلا: كتاب الشعرية العربية مرجعياتها وابدالاتها النصية لمشري بن خليفة عن دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، في طبعته الأولى، بتاريخ: 1432 هـ-2011 م

الكتاب من الحجم المتوسط يضم 247 صفحة، ويضم الكتاب ثلاث دراسات قيمة وهي:

1- الشعرية القديمة.

2- الشعرية الحديثة.

3- الشعرية المعاصرة.

وقد تطرق لهذه المواضيع من الناحية التاريخية ، النظرية المتعلقة بالمرجعيات، والوصفية المتعلقة بالابدالات النصية.

2.2 **المضمون:**

يحتوي الكتاب طرحا جديدا فيما يخص الشعرية العربية، فقد حاول المؤلف الإلمام بجميع جوانب الشعرية العربية، دون إهمال أي جانب، فالكتاب إذن جامع لشتات الشعرية، التي لطالما كانت محاولة السيطرة عليها أمرا في غاية الصعوبة. فهو يصرح منذ المقدمة بأهداف دراسته للشعرية: في مسارها التاريخي يقول:" تسعى هذه الدراسة لإعادة قراءة الشعرية العربية من حيث مرجعياتها وابدالاتها النصية، وتستند هذه القراءة لأسس نظرية وأدوات منهجية ، بها يتم الانصات للشعرية العربية في مسارها التاريخي. (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م)

ويتطرق في المقدمة لأهم الدراسات الموازية التي أخذت نفس المسار في دراستها للشعرية العربية على غرار:جمال الدين بن الشيخ، محمد بنيس وغيرهما. التي تناولت قضايا الشعرية العربية من تصور الكلية والخصوصية."

(مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، صفحة 11)

وقد توفرت المقدمة على كامل مراحلها وعناصرها من : من إشكالية، وتحديد للمنهج، والمصادر والمراجع وغيرها. كما ركز في الكتاب على الشعر دون سواه من أنواع الابداع الأدبي في حين أن الشعرية هي قوانين الكتابة وسننها سواء أتعلق الأمر بالشعر أم بالنثر، بل أن النثر (السرد بشكل خاص) هو أكثر فاعلية في العصر الجديد من الشعر.

3. تجليات الشعرية العربية، الأصول والمتغيرات النصية:

1.3المرجعيات: لقد تمركزت دراسات الناقد في تقصيه لجينالوجيا الشعرية العربية على المرجعيات باعتبارها الثابت في العملية الإبداعية، والمتغير وهو ماشكلته النصوص الأدبية من خروج على النمطية المعهودة من تحيين للعملية الابداعية للتخلص من الكليشهات والرتابة التي تسيطر عليها القوالب الجاهزة من سنن الكتابة وطقوسها المعروفة.

أ- المرجعية الأولى: الشعرالجاهلي،الأنموذج الأعلى.

تتبدى أصول الشعرية العربية القديمة، من خلال موازنتها بالشعر الجاهلي رمز الجمال المطلق للشعرية العربية حينئذ. وترتكز على جملة من الخصائص والتقاليد التي مبزت المشهذ الشعري ذو الخصوصية الشفاهية والتي تشترك فيها جميع الأمم البدائية بما هي قوانين نظرية مجردة.

وتتلخص أهم خصائص (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432ه، 2010 م، صفحة 229) الشعرية الشفوية عنده من خلال جهود مفكرين من أمثال مليمان باري (1902-1935) وتلميذه ألبرت لورد.

1- التكرار: أي أن الثقافة الشفاهية تتميز في تخزينها للمعرفة بالتكرار بطريقة مستمرة، مما يستدعي الصوت/ السماع.

2- القوالب الصياغية: وهي الصيغ الشفاهية أو القوالب الجاهزة، والتي يصب فيها الشاعر شعره، ويمتاز التعبير فيه بالبساطة وإعادة القول، وسعة النظام الذي يحتويه.

3- اللغة الخاصة: هي تلك اللغة التي تبتعد عن الكلام العادي، أي لغة النخبة من الشعراء.

ثم بعد ذلك يسوق لنا جملة من سمات الأسلوب في الثقافة الشفاهية معتمدا على كتاب الشفاهية والكتابية لوالتر أونج، وبإسقاط هاته الخصائص على الشعر الجاهلي – باعتبار أن جميع الأمم كانت شفاهية المعارف- نستخلص الأسس (مشري، الشعرية العربية

مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، الصفحات 46-42)التي قامت عليها الشعرية الشفوية في الشعر الجاهلي:

أ- عطف الجمل بدلا من تداخلها.

ب- الأسلوب التجميعي في مقابل التحليلي.

ج- الأسلوب الاطنابي.

د- الأسلوب المحافظ.

هـ- القرب من الحياة الإنسانية.

و- لهجة المخاصمة.

ز- الميل إلى المشاركة الوجدانية.

ح-التوازن.

ط- موقفية أكثر منها تجريدية.

كما يسوق لنا جملة من خصائص (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، الصفحات 61-55)الشعرية الشفوية الجاهلية ممثلة في:

أولا: جمال الصوت: تبوأ الانشاد مكانته في الثقافة الشعرية الشفوية الجاهلية ، فترتب عن ذلك سمت عربي معين يعلي من طبيعة الشعر الموسيقية التي تتخذ جمال الصوت ركيزة لقيام قصائده.

ثانيا:الوزن والقافية: يعتمد الشعر الجاهلي نظاما عروضيا (البحور الخليلية) يوظف فيه الشاعر طاقة عظيمة، يكون فيها الوزن معيارا مقيدا لجوامع الشعور واللغة في أحايين كثيرة.

ثالثا: النظم الشفوي: يعتمد على القوالب الصياغية الجاهزة، ويضع مشري بن خليفة جداول (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، الصفحات 70-69-68) يحصي فيها عموم القوالب الجاهزة في الجاهلية والتي صب فيها الشعراء حمولاتهم اللغوية والعاطفية، والتي تتكرر عند معظم شعراء الجاهلية، لأن إحداها تستلزم الأخرى وجوبا.

وفي سياق حديثه عن القوالب الجاهزة، يدرج لنا الدكتور قولا لابن خلدون، يلخص فيه العملية النقدية المتعلقة بصناعة الشعر يقول: " فاعلم أنها عبارة (صناعة الشعر) عن

المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب الذي هو وظيفة العوض. فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان، فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول تراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع عكس الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب يختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة." (ابن خلدون، 1984، الصفحات 570-571)

ويؤكد ابن خلدون ويصف الطريقة الصياغية، أو القوالب الجاهزة التي أساسها الارتجال، الذوق والبديهة، والتي لا علاقة لها بالنحو والبلاغة والعروض باعتبارها قواعد وضعت لتقعيد الشعرية العربية في مرحلة لاحقة ميزتها التفاعل مع الثقافة العربية الإسلامية والثقافات الأخرى. (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، الصفحات 73-72)

2.3 **الإبدال الأول**:النص القرآني (الكتابة)

لقد أحدث النص القرآني قطيعة مع الشعر عموما، وأسس لرؤية جديدة "وهكذا كان النص القرآني تحولا جذريا وشاملا، حيث استطاع أن يحقق النقلة من ثقافة الارتجال والبديهية إلى ثقافة التأمل، ومن الشفوية إلى الكتابة" (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، صفحة 76)

هنا بدأ البحث اللغوي والبلاغي يطرح مسألة الإعجاز القرآني، والسعي إلى الكشف عن أسراره بظهور ثنائية(اللفظ/المعنى)، بردها أولا وأخيرا إلى المرجعية الأولى أقصد الشعر الجاهلي، متجسدا في نظرية "عمود الشعر" للمرزوقي.

1- عمود الشعر: (أبو علي، 1951، صفحة 09)

-شرف المعنى وصحته.

- جزالة اللفظ واستقامته.
- إصابة الوصف.
-المقاربة في التشبيه.
-التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن.
- مناسبة المستعار منه للمستعار له.
- مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.

إن نظرية عمود الشعر جاء بها النقاد التقليديون ليخرجوا الشعر المحدث من "طرقة العرب" على أنه لا يشبه شعر الأوائل وشديد الصنعة والتكلف ةليس على عيارات عمود الشعر بحيث كان الوضوح الجاهلي هو المهيمن "لأن الشاعر الجاهلي كان يقول إجمالا ما يعرفه السامع مسبقا: كأن يقول عاداته وتقاليده، حروبه ومآثره، انتصاراته وانهزاماته. (سعيد أدونيس، الشعرية العربية، 1985، صفحة 06)

3.3 شعرية النظم: لقد ثار أصحاب الدرس الإعجازي على"عمود الشعر" الذي كان أساسه الصراع بين القديم والمحدث ويكمن الجديد في الطرح عندهم في ثلاثة تحولات كبرى حسب أدونيس. (سعيد أدونيس، الثابت والمتحول الأصول، صفحة 11)

الأول: هو القول أن الخيال أصل العالم.

الثاني: ناتج عن الأول وهو اتخاذ "الخروج عن المعتاد" مقياسا لتقييم التجربة.

الثالث: هو الخروج عن القالبية.

"وبهذا تمكن عبد القاهر الجرجاني من تحرير الشعرية العربية من مرجعية الثبات، فهو يرى أن النظم هو الأساس في الكشف عن شعرية النص وأن المعنى لا يوجد خارج النص وإنما هو يتشكل في السياق. (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432ه، 2010 م، صفحة 80)

خصائص (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432ه، 2010 م، صفحة 80)شعرية النظم:

1- تتمثل خصوصية الطريقة المحدثة في ابتكار معان لم تعرفها الشفوية الجاهلية، وتتمثل هذه الخصوصية كذلك في ابتكار لغة شعرية جديدة فالاحداث الشعري إذا هو ابتكار مالم يعرفه الأقدمون.

2- جودة النص الشعري في ذاته، هي التي يجب أن تكون معيارا للتقويم لا الأسبقية الزمنية، فالأول شعريا، هو بالضرورة، الأول في الجودة، لا الأول في الزمن، فطريقة الأوائلإذا لا يصح أن تكون معيارا.

3- الثقافة العميقة الشاملة شرط لابد منه لكل من يحاول أن يكون ناقدا شعريا فلابد للناقد أن يكون من أهل النفاذ في علم الشعر.

إذن لقد قلب الدرس الإعجازي الموازين فيما يخص الشعرية العربية، جسدتها معايير نظرية النظم التي وضع أسسها الجرجاني ممارسة قطيعة إبستيملوجية، وإبدالا نصيا ولغويا وذلك إيذانا بولادة نص شعري جديد مثلته شعرية المفارقة أو المغايرة مجسدا في: أبي تمام، أبي نواس والمتنبي، مع ما عرف فيما بعد بشعرية التجاوز.

4.3شعرية التجاوز:

سلك أبو تمام طريقة جديدة بالنسبة لما كان سائدا، فخلط بذلك، أوراق النقاد القدامى، و"أسس أبو تمام رؤية مغايرة أساسها الابداع والغموض والاختلاف." (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 19، صفحة 230)

ويحدد أدونيس (سعيد أدونيس، الشعرية العربية، 1985، الصفحات 55-53) المبادئ الجمالية لهذه الشعرية بتأثير من الدراسات القرآنية والنقدية:

1- مبدأ الكتابة دون احتذاء نموذج مسبق، فعلى الشاعر أن يبتدئ شعره لا على مثال ويتضمن بالضرورة اكتشاف آفاق جديدة في طرق التعبير.

2- اشتراط الثقافة العميقة الواسعة، لكل من الناقد والشاعر، فكتابة الشعر وقراءته تستلزمان معرفة وخبرة ومراسا ولا تكفي البداهة والارتجال.

3- النظر إلى كل من النص الشعري القديم والنص الشعري المحدث، في معزل عن السبق الزمني، وتقويم كل منهما بحسب جودته الفنية في ذاته.

4- نشوء نظرة جمالية جديدة فلم يعد الوضوح الشفوي الجاهلي معيارا للجمال والتأثير، بل صار هذا الوضوح يعد على العكس نقيضا للشعرية، فالجمالية الشعرية تكمن في النص الغامض المتشابه، أي الذي يحتمل تأويلات مختلفة ومعاني متعددة.

5- إعطاء الأولية لحركية الإبداع والتجربة، بحيث يبدو الشعر تجاوزا دائما للعادي المشترك، والموروث" لايهاب أن يخرق الإجماع" كما يعبر الجرجاني، بحيث تصبح الشعرية"ضربا من الفتنة".

وبهذا وبتجاوز أبو تمام لجميع المعايير التي أقرها المرزوقي في عموده، فشعريته تنمي القصيدة من حيث هي رؤيا متعددة الأبعاد ، وتكشف عن علاقات التشابه والتضاد بين الأشياء، مؤكدا بذلك نزعته الحداثية في تصوره للوجود، نهض بنص شعري يستدعي فعل القراءة وآليات التأويل. (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، صفحة 93)

4. الشعرية الحديثة:

1.4مرجعيتها: الشعر العباسي

لقد أحدث العصر الحديث انشقاقا في الحياة العربية، وهو نتيجة لاتصال العرب بالغرب الأوروبي، وترتب عن ذلك ما يسميه أدونيس بصدمة الحداثة، ويتمثل هذا الاتصال، تاريخيا في ظاهرتين: الحملة الفرنسية على مصر والبعثات إلى الخارج. (بنيس، 1990، صفحة 07)

كانت البداية مع المدرسة الاحيائية، مع محمود سامي البارودي ، الذي قام بدور احيائي للشعر العربي، واستطاع أن يكون بداية فعل شعري له خصوصية، بالموازنة مع ما كان سائدا في عصره، وهذا ما أدى إلى تسميته بشاعر النهضة. لقد تبنى البارودي الشعر وحاول الدفاع عن المرتكزات الشعرية العربية من ناحية المد الغربي أولا ثم الانحطاط الشعري السائد ثانيا "وعلى الرغم من أن البارودي حاول وضع مفهوم للشعر يضفي عليه سمات الاختلاف، ولكن تبقى المرجعية التي يستند اليها ماضوية، فهو يأتي بالماضي إلى الحاضر، لا ليعيد انتاجه ضمن رؤية عصره الحديث، وإنما ليعطيه سلطة الحاضر، ومن ثم يمحي الحاضر في نصه، ويتحول إلى تقليد يستند إلى العقل، وبذلك يصبح الشعر عملا تخيليا في أحضان العقل. (بنيس، 1990، الصفحات 103-100)

وهذا ما يجعل الشعر العربي الحديث في مأزق، فهو لا يتجاوز الشعر المحدث ممثلا في أبي نواس وأبي تمام، ولا يعبر عن تحولات العصر الحديث، وإنما يعيد إنتاج النص الشعري المركزي من رؤية ماضوية، تكرس الخطابة، التي تنادي على الشعرية العربية الشفوية.

بحيث يرسخ مفهوم الشعر الممارسة الماضوية وخصائصها، سواء الصوت أو المعنى المسبق أو الخيال المعقول لأن رؤية هذا الموقف يقوم على العودة إلى القديم. (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، الصفحات 105-100-99)

2.4 الابدالات النصية: (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، الصفحات 231-107)

1- لا شك أن البيت الشعري مر بإبدالات عدة في مسار الشعر العربي من الشفوية إلى الكتابة، والشعر التقليدي على الرغم من تمثله للنص المركزي فهو يمارس فعل الخروج على البيت الذي يوصف بالاستواء والاعتدال والانفصال وتساوي الحدات العروضية وتمام الوزن والقافية.

2- الإطالة في القول، مما أدى إلى إعادة بناء المكان النصي، حيث نجد البياض يفصل مجموعة من الأبيات عن بعضها.

3- استبعاد بيت التخلص من القصيدة، واللجوء إلى الفراغ كعنصر لاعادة بناء النص، حتى تنتظم القصيدة وفق تجربة الشاعر وبلاغة المكتوب.

4- العنوان: مما أحدث إبدالا في المفهوم الشعري وبناء القصيدة، وأصبحت القصيدة مطبوعة وهذا يخرجها جزئيا من الشعرية الشفوية.

بينما تعود البواكير والإرهاصات الأولى لشعرية الخيال إلى الرومانسية، والتي مارست القطيعة مع التقليد، وتتوخى الرومانسية الذاتية، إلا أن لقاء الرومانسية العربية بالغربية أدى إلى إعادة قراءة الشعر العربي القديم بطريقة جديدة، أما المرجعية الثانية تمثلت في الموشحات.

3.4 الإبدالات النصية لشعرية الخيال: (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، صفحة 232)

1- الخيال أداة إستراتيجية في الممارسات النصية المختلفة.

2- غياب الإستهلال

3- البيت تعرض للإدماج، إذ إن المقطع أصبح قاعدة بنائية للنص بأكمله.

4- ذات الشاعر هي مركز القصيدة ومن ثم ينتفي الغرض وينتفي البيت بشكله العروضي، ويتأسس بيت شعري له صفة الاندفاع والتقدم إلى الأمام.

5. الشعرية المعاصرة:

تميزت الشعرية العربية المعاصرة بالتعدد والاختلاف ، والنظر إلى الشعر من حيث هو رؤيا فكانت مرجعياتها مختلفة ومتعددة مما أسس للامركز فكانت شعريات متعددة وليس شعرية أحادية.

الإبدالات النصية: (مشري، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، 1432هـ، 2010 م، الصفحات 235-234-233)

1- هيمنة القصيدة بدلا من البيت وهو ما يتجلى في بحث الشعراء المعاصرين عن مسكن حر.

2- تدخل المكان النصي في بناء القصيدة بعيدا عن تأثيرات الذاكرة والعروض.

4- انتقال الشعر العربي من (الشعر الحر) إلى (قصيدة الحديثة).

- الانتقال م (الشعر المنثور) إلى (قصيدة النثر).
- 5- الرؤيا، أي أن الشعر المعاصر نبوة ورؤيا وخلق، وهو يتأسس على التجربة بوصفها مخاطرة في مواجهة الموت.
- 6- الكتابة: وهي الخروج عن الشكل المنتهي المعلوم.

كما تحولت الكتابة إلى تجربة جسدية، أي أنها تستفيد من كل الأشكال التعبيرية، وطبعا هذا التحول يستدعي قراءة مفتوحة تدمر الذاكرة على رأي مشري بن خليفة. "

1.5 الشعرية العربية من ⍰لدود الذاكرة إلى آفاق التجديد:

تثير محاولة الكشف عن الإرهاصات الأولى للشعرية العربية استفزازا ابستومولوجيا وقلقا بحثيا؛ ذلك أن بدايات المشهد الإبداعي العربي القديم لا تتضح بسهولة سيما وأن العرب كانت أمة حل وترحال، تعتمد النقل والرواية على حساب الكتابة والتدوين، وبذلك سادت الشفاهية الساحة الأدبية العربية القديمة بداية مع الشعر الجاهلي – النموذج الأعلى – أو القاعدة التي قيس على أساسها كل الأدب اللاحق حتى إن المعايير النحوية لكلام العرب استنبطت بالرجوع إلى المتون الشعرية الجاهلية فهاته القوانين هي موجودات مضمرة أو ظاهرة في النصوص الأدبية لذلك سار عليها العرب ولم يحيدوا طرف أنملة،

ومن هنا تتحدد لنا الشعرية كونها "صفة لا ماهية الشعرية تلحق بالكلام تتلبس به فيشرع في الارتقاء إلى ذرى جمالية وتعبيرية ما كان ليطالها بدونها، تقع في الشعر وتندس في النثر فتجعل الحدود الفاصلة رجراجة، وتعتصر المسافة الممتدة بين النمطين تكاد تلغيها أحيانا تقع في الكلام نثرا كان أم شعرا لا يهم النمط فينتفض في مواضعه بكسر العادة ويرتقي إلى ذرى جمالية بيانية لا تنتهي إلى غاية تلغي المسافات بين الأنماط، تمحي أو تكاد هذه هي مفعولاتها حين تجتاح الخطاب" (اليوسفي، 1992، صفحة 239) فالشعرية هنا ليست وجودا مستقلا أو ماهية يمكن تصورها خارج الكلام فهي لازبة به توجد بوجوده – الكلام الأدبي- وتنتفي بنفيه، بينما تتجسد وظيفتها في الارتقاء به إلى درجات الجمالية بتوفر شروط (قوانين معينة) مستنبطة من الكلام نفسه في تعاليه النصي: بناء وإيقاعا وتراكيبا وما يرتبط بها من محسنات بلاغية توشح النص الأدبي وتسمه بسمات التفرد والجمال عن باقي الأنساق الأخرى، وبعد أن كانت في القديم ترسم الحدود الفاصلة بين الشعر والنثر بمعنى أن الشعر في الشعرية القديمة هو نقيض النثر، فتشبعت المدونات النقدية القديمة بإقامة الحد الفاصل بين الشعر والنثر بحيث كان لكل أنصاره والمتحيزين له، تداخل الجنسان في الشعرية الحديثة، فلم يعد هناك فرق بين الشعر والنثر بقدر ما هو الفرق بين الكلام الأدبي واللاأدبي فتتحقق من خلال ثوابت متفق عليها تتصل بالمعجم لغة، صورا، إيحاء، وتخييلا،فتمد بذلك جسور التواصل بالعروض والموسيقى الداخلية والخارجية معلنة عن ثوابت قارة على الرغم من اختلاف تجلياتها من نص إلى آخر. لقد تمحورت الدراسات النقدية القديمة حول مفاهيم بعينها جسدتها تلك المدونات على غرار: (عباس، 2001، صفحة 30)

(اللفظ /المعنى)، (المطبوع/ المصنوع)، (الوحدة/ الكثرة في القصيدة)، (الصدق/ الكذب)، (المفاضلة أو الموازنة بين شاعرين أو شعرين)، (السرقات الشعرية)، (عمود الشعر)، (العلاقة بين الشعر والأخلاق أو الشعر والدين) يمكن اعتبار النقد العربي القديم حتى القرن الثالث هجري مجرد محاولات لا تتجاوز الذوق الساذج والأحكام الجزئية (الذوقية) تقف من الإبداع في العراء (الهامش) ولا تستطيع تفسير العمل بمنأى عن الميثولوجيا (شياطين الشعر، واد عبقر) فكانت بذلك الشعرية - عبارة عن تراكمات جسدتها الجهود المبكرة لنقاد لامسوا المفهوم العام لها من قبيل (صناعة الشعر) صناعة الإنشا، نظم

الشعر، عمود الشعر، التخييل والأقاويل الشعرية...) بالموازاة مع وفود الفكر اليوناني الأرسطي خصوصا بفن الشعر والخطابة – إلى الثقافة العربية القديمة.

فما الدور الذي يمكن أن يلعبه الماضي في الحاضر غير أن يمنحه اللغة وقواعد الكتابة الصحيحة وبعض الرموز وبعض المناحات العامة كتلك التي وفرتها الأسطورة أو التصوف أو اللغة الشعرية والسردية. أعتقد أن ما يمكن أن يمنحه القديم للمعاصر هو ذلك الشعور الحميمي بالانتماء إلى أبوة واحدة، وما يتبع هذا الشعور من طاقات وجدانية وقيم أخلاقية ومشاعر أخوة قوية." (بلعلى و العشي، 2019، صفحة 26)وللأسف فإن النظرية الحداثية التي صاحبت التجربة الشعرية العربية المعاصرة، كانت تقوم على تأسيس لنظرية في الشعر كثيرا ما قدمت نفسها بوصفها نقيضا ابستيمولوجيا وفنيا للقديم، وغالبا ما كانت تبني معمارها الفني بحفر قبور لما هو تراثي. (بلعلى و العشي، 2019، صفحة 26)

" لقد ظلت الشعرية العربية لفترة طويلة، وفي عمومها مجرد شعرية ارتكاسية ترى في كل نزوع تخييبي شقا لعصا الطاعة في ظل سلطة الإجماع ومنطق الماصدق، ويبقى الإشكال مطروحا حول ما إذا استطاعت البويطيقا العربية الانعتاق والتحرر فعلا، خصوصا بعد الهزات الامبريقية (*Empirique*) التي فجرت جل إمكانات التخييل مع فلسفات الحداثة وما بعد الحداثة الغربية" (أدونيس، صفحة 119).

"هكذا تصبح الشعرية –القديمة- قائمة على جملة الحركات الجدلية:

- حركة أولى تتمثل في العدول عن لغة التخاطب العادية، والعدول يتطلب من الشاعر أن يدفع بالمادة اللغوية داخل قالب ايقاعي محدد.
- حركة ثانية تتمثل في مراعاة اكراهات الوزن والقافية.
- حركة ثالثة قوامها التغلب على الصراع الذي يتولد عن المزاوجة بين النظام الايقاعي الذي ينبني على التماثل الصوتي ويقتضيه، والنظام اللغوي الذي ينبني على التمايز والتباين ويقتضيهما معا." (اليوسفي، 1992، الصفحات 81-80)

ويتجدد الفرق (ثامر، صفحة 104) بين الشعرية العربية القديمة والحديثة في:

1. انصرفت الشعرية العربية القديمة إلى معاينة النصوص الشعرية فقط بسبب الفاعلية الشعرية حينذاك، وتفوقها على ما عداها من أشكال الإبداع الأدبي- أما الحديثة – تعكف شأنها شأن الشعرية الحديثة في النقد العالمي الحديث على فحص التجارب

الشعرية والنثرية على حدّ سواء، بل إنها أكثر انهماكا بفحص آليات الخطاب السّردي والدّرامي والنّقدي منها بفحص آليات الخطاب الشّعري.

2. الشعرية الحداثية تعنى بوصف النّصوص الأدبية وكشف قوانينها وهي بذلك تتجاوز الموقف البلاغي في الشّعرية القديمة لأنه موقف معياري يرسل الأحكام التقييمية.

3. أما عن الخصوصية العربية فإنها تعني بكشف القيمة المعرفية والدلالية والإيصالية للخطاب الإبداعي الأدبي العربي، الذي ما زال يختزن في ذاكرته مكنونات الخطاب الشّفاهي ورسالة الإيصال الموجّة نحو الآخر.

6. خاتمة:

إن الالمام بمفهوم الشعرية في المدونة النقدية العربية يبقى من الصعوبة بما كان، ذلك أن استقرار الثابت فيها ينبني دائما على مفهوم الأدب الذي هو في دينامية لا تهدأ. ومن خلال تتبعنا لمسار الشعرية في كتاب مشري بن خليفة، خلصنا إلى جملة من النتائج نذكر أهمها:

أولا: أن الكتاب تتبع إشكاليتين بارزتين في تحولات الشعرية وهما:

أ- المرجعية.

ب- الإبدالات النصية.

ثانيا: أن الكتاب كان خاصا بالشعر فقط في حين أن الشعرية هي علم كليهما.

ثالثا: أن تحولات الخطاب الشعري قد خلط أوراق الشعريين وهو ما بينه التعدد والاختلاف واللامركز.

رابعا: الصراع الدائم بين شعرية المعيار وشعرية الهامش.

وأخيرا: خلصت من دراستي للكتاب أن الشعرية العربية هي في الحيقة شعرية واحدة على الرغم من القول بالتعدد

المراجع

إحسان عباس. (2001). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب* (المجلد 01). دار الشروق للنشر والتوزيع.

أحمد المرزوقي أبو علي. (1951). *شرح ديوان الحماسة* (المجلد 01). القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة.

أدونيس. *مقدمة للشعر العربي*.

آمنة بلعلى، و عبد الله العشي. (2019). *فقه الشعر، من سؤال الشكل إلى أسئلة المعنى*. ميم للنشر.

بن خليفة مشري. (1432هـ، 2010 م). *الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية* (المجلد 01). عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.

بن خليفة مشري. (19). *الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية* (المجلد 0).

عبد الرحمن ابن خلدون. (1984). *المقدمة* (المجلد 05). بيروت: دار العلم للملايين.

علي أحمد سعيد أدونيس. *الثابت والمتحول الأصول*.

علي أحمد سعيد أدونيس. (1985). *الشعرية العربية* (المجلد 01). بيروت.

فاضل ثامر. *اللغة الثانية*.

محمد بنيس. (1990). *الشعر العربي الحديث، الرومانسية العربية* (المجلد 01). المغرب: دار توبيقال للنشر.

محمد لطفي اليوسفي. (1992). *الشعر والشعرية، الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه*. الدار العربية للكتاب.